كيف نتقي الظلم؟

إعداد

ندى بنت علي المحمود

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي حرم على عباده الظلـــم والطغيـــان، وأوعـــد الظالمين بالعقوبة والخسران، وجعل دعوة المظلوم مستجابة لإقامـــة العدل والميزان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الـــذي حرم الظلم على نفسه فأفعاله وأحكامه دائرة بين العدل والإحسان وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أما بعد: فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

أيها الأحبة في الله: أكتب لكم هذه الكلمات ولسان مقـــالي يقول:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا فالظلم يرجع عقباه إلى النـــدم

تنام عيناك والمظلـــوم منتبـــه يدعو عليك وعين الله لم تـــنم

وبادئ ذي بدء أذكركم بقوله ﷺ: «**اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك مـــن كـــان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءكم واستحلوا محارمهم**» رواه مسلم.

ودخل طاووس اليماني على هشام بن عبد الملك فقال له: اتقِ الله يوم الأذان، قال هشام: وما يوم الأذان؟ قال: قال الله تعـــالى:

﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ فصـــعق هشـــام. فقال طاووس: هذا ذل ذا الصفة فكيف بذُلِّ المعاينة؟!

يا راضيًا باسم الظالم كم عليك من المظالم؟

السجن جهنم، والحق الحاكم!

فاعلموا أيها الأحبة: أنَّ الإنسان يزرع بقوله وعملــه وفعلــه الحسنات والسيئات ثم يحصد يوم القيامة ما زرع فمن زرع خــيرًا من قول وعمل حصد الكرامة، ومن ز رع شرًّا من قــول وعمــل حصد الندامة..

فأحببت أيها الكريم.. أيتها المباركة أن أضع بين أيديكم هــذه الرسالة، التي قمتُ مجتهدة بفضل الله ومنَّته بجمعها من كــلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ وكلام أهل العلم، وأسميتها: «**كيف نتقي الظلم؟**».

سائلةً الله أن ينفعني بهذا العمل وإخواني المسلمين وأن يجــزي بالجزاء الأوفى من ساهم في إخراجه وهو سبحانه المسئول أن يرقِّق قلوبنا ويهديها إنه نعم المولى وهو حسبنا ونعم الوكيل.

كتبته: (ندى بنت علي بن محمد المحمود)

غفر الله لها ولوالديها ولجميع المسلمين

الظلم:

أعلم وفقني الله وإياك وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه أن الظلم مرتعه وخيم وعاقبته سيئة، وهو منبع الرذائل ومصدر الشرور، ومتى فشى وشاع في أمة أهلكها، وإذا حلَّ في قرية أو مدينة دمَّرها.

وهو والفساد قرينان بهما تخرب الديار، وتزول الأمصار وتقل البركات، ويحل الفشل محلها، وهو ظلمات تزل الأقدام في غيابـــه، وتضل به الأفهام ويظهر الفساد وينتشر بسببه الفزع بين الناس.

عن أبي ذر، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلتـــه بينكم محرمًا فلا تظلموا..**» رواه مسلم.

ومعنى ذلك: أن الله تعالى قادر على الظلم لكنه حرمـــه علـــى نفسه لكمال عدله سبحانه وتعالى.

فالله عز وجل لا يظلم الناس شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون فيحصي الله عز وجل على العباد أعمالهم ثم يوفيهم إياها بـــالجزاء عليها..

لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُـــورَكُمْ يَـــوْمَ الْقِيَامَـــةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

تعريف الظلم

لغة: هو ضد العدل.

اصطلاحًا: هو وضع الشيء في غير محلِّه، وهو انحـــراف عـــن

العدالة.

أنواع الظلم: لا شكَّ أن كل من ظَلَم فهو محاسَب بين يــدي الله تبارك وتعالى، والظلم بين العباد درجات متفاوتة.

وأن الجزاء على كل شيء بحسبه ولقد وصل الناس اليــوم في ظلم بعضهم بعضًا إلى حدٍّ يقصر عن شرحه العبــارة والإحصــاء، وذلك أنهم لا يتهيبون ظلمًا إلا إذا رأوا بجانبه عقوبة إقامــة الحــد الشرعي، فإذا أمن أحدهم من العقوبة بطش بطش الجبارين، فــإذا اشتهت نفسه قذف شخص قذفه مهما كان تقــي العــرض، وإذا اشتهت نفسه سب إنسان شتمه ولعنه أو غيبة غافل أو بهته اغتابه وبهته، وإن سولت له نفسه أن يطعن بنسب إنسان وحسبه طعــن طعنًا تقشعرُّ منه الأبدان ... وهكذا.

ومن توغَّل في الظلم وأمن العقوبة لا يقوم بنفسه لون من ألوان الظلم، إلاَّ نفذه مسرعًا والعياذ بالله.. كأنه لا يؤمن بالبعــث ولا بالموت، ولا بأنَّ الجزاء من جنس العمل.

ولذلك ترى اليوم نيران الظلم تلتهب في أنحاء الدنيا وقد غفل الناس عن عواقب الظلم دنيويًا وأخرويًا، و لم يعلموا أن شقاء الدنيا والآخرة وليد الظلم ولو لبهيم لا يحسب له أدنى حساب.

ولذلك نرى أنَّ الظلم يأتينا بعدة صورة:

منها الشرك بالله: فالشرك بالله هو أعظم الظلم وأشده وأخبثه. قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**» أخرجه مسلم.

ومنها ظلم الإنسان نفسه والاعتداء على حقوقها، فقد يكـــون مبذرًا وحالة نفسه تدعو إلى الاقتصاد وقد يكون مقترًا وحالته تدعو إلى التيسير.

ومنها ظلم الإنسان لمن تحت يديه من أبناء وزوجات وبنات: يعاملهم بالقسوة كما يفعله بعضهم ظنًا منه أنه مدعاة لاحتـــرامهم له، أو يبخل عليهم فلا ينفق النفقة الواجبة، أو لا يحسن معاشرتهم، ومِن ظُلمه لأولاده أن يتركهم بلا أمر ولا نهي ولا توجيه.

ومنها ظلم الجار لجاره، وقد أوصى الله بالجار فقال الله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال الرسول ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**» أخرجه البخاري.

ومنها ظُلم المعاملات فيما بين الرجل ومعامليه، ومنـــها ظلـــم القضاة الحيف مع أحد الخصمين أو شهادة الشهود.

ومن أعظم الظلم المماطلة بحق عليه مع قدرته على الوفاء.. لما ثبت في الصحيحين أن الرسول ﷺ قال: «**مَطل الغني ظلـــم**» وفي رواية: «ليّ الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته».

ومن الظلم أن يستأجر أجيرًا أو إنسانًا في عمـــل ولا يعطيـــه

أجرته.. لما ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومـــن كنـــت خصـــمه خصمته: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًّا فأكـــل ثمنـــه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه العمـــل ولم يعطـــه أجرتـــه**» وكذلك إذا ظلم يهوديًا أو نصرانيًا أو نقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفسه.

ومن أعظم الظلم أيضًا القتل، ألا وأن قتل المسلم من أعظـــم العدوان، ولذلك أوجب الله تبارك وتعالى النار على قتـــل المـــؤمن عمدًا وظلمًا.. قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَـــزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٩٣].

فظلم الناس أنواع يجمعها قوله ﷺ: «**إن دمائكم وأمـــوالكم وأعراضكم عليكم حرام**» أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجـــة وأحمد والدارمي.

فمن سفك دمك بغير حق أو أخذ مالك بغير حق أو اعتـــدى على عرضك بغير حق فلا شك أنه قد ظلمك وهذا مـــن معـــاني الظلم.

فعن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجـــب الله له النار، وحرم عليه الجنة**» فقال رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يـــا رسول الله؟ فقال: «**وإن قضيبًا من أراك**» رواه مسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين**» أخرجه البخاري.

ومن الظلم أيضًا إيقاع غير العدل حتى على الحيوان والنبات.. عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تـــدعها تأكـــل مـــن خشاش الأرض**» أخرجه البخاري.

وقد يتدرَّج الظلم بعد ذلك نزولاً حتى تكون مجـــرد الكلمـــة والغمزة واللمزة في حق المؤمن ظلمًا.

أسباب الظلم

الأول: الشيطان:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّـــةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

الثاني: النفس:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّـــوءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

نفس أمارة: هي التي تأمر بالسوء لميلها للشهوات.

نفس لوامة: هي التي تلوم نفسها يوم القيامة إن خـــيرًا تلـــوم المؤمن على أنه لم يزد إحسانًا وإن شرًا تلومه أنه لم يرجـــع عـــن إساءته.

نفس مطمئنة: أي اطمأنت على ما وعد الله لأهل الإيمان به في

الآخرة.

الثالث: الهوى:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

آثار الظلم

وللظلم آثار تبقى على الفرد والمجتمع.

أ- آثار الظلم على الفرد.

١- ضياع النعمة:

قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ [الكهف: ٣٢].

فلقد كفر صاحب الجنتين بالبعث وشكك في قيـــام الســـاعة فأوجب بذلك سخط الله وأليم عقابه فأحاط الهلاك بثمره فأصـــبح يقلب كفيه أسفًا على ذهاب نعمته ويتمنى أنه لم يكن أشرك بربـــه أحدًا و لم يمنعه أحد من عقاب الله.

٢- زوال الملك:

إن أمور الدنيا إن لم يكن بناؤها على التقوى وتوحيدًا لله عـــزَّ وجل تكون العاقبة إلى الزوال والدمار.

٣- الندم:

وهو ندم الظالمين عندما يعضُّون على أيديهم لِما قـــد فـــات

عليهم من إعراضهم عن الإيمان بربهم وكفرهم برُسله، وهذا عندما يرون العذاب ويرون نهايتهم.

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧].

ب- أثر الظلم على المجتمع:

وهو ما نراه اليوم من حروب وتدمير للمُدن والقرى وهلاك الأنفس وانتشار الأمراض.

الحذر من دعوة المظلوم:

وبما أن الله حرم الظلم تحريمًا مطلقًا فلقد جعل دعوة المظلوم مستجابة، فاحذر دعوة المظلوم حيث رفع فوق الغمام ويقول الرب تبارك وتعالى: «**وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**».

توقَّ دعاء المظلوم إن دعاءه ... ليرفع فوق السحب ثم يجاب
توقَّ دعاء من ليس بين دعائه ... وبين إله العالمين حجاب
ولا تحسبنَّ الله مطرحًا له ... ولا أنه يخفى عليه خطاب
فقد صحَّ أن الله قال وعزتي ... لأنصر المظلوم وهو مثاب
فمن لم يصدق ذا الحديث فإنه ... جهولٌ وإلا عقله فمصاب

ومن عِظم الظلم كذلك جعل الله عز وجل دعوة المظلوم مستجابة فقد قال ﷺ: «**ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده**» (رواه الترمذي وابن ماجة).

وقيل لما حُبس خالد بن برمك وولده قال: :يا أبتي، بعد العـــز صرنا في القيد والحبس، فقال: يا بني، دعوة مظلوم ســـرت بليـــل غفلنا عنها و لم يغفل الله عنها".

وقد قال الرسول ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن، فقال: «**اتـــقِ دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب**» أخرجه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قـــال: قـــال رســـول الله ﷺ: «**ثلاث لا يرد الله دعائهم الذاكر الله كثيرًا، والمظلوم، والإمـــام المقسط**».

فالظلم حرام في ذاته حتى ظلم الكافر لأن الكافر كفر له. قال الله عز وجل: ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْـــدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ [المائدة: ٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال الرسول ﷺ: «**دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرًا ففجوره على نفسه**» انفرد بـــه الإمام أحمد بن حنبل.

تفتح أبواب السماوات دونها — إذا قرع الأبواب منهن قارعُ
وأني لأرجو الله حتى كأنمـــا — أرى بجميل الظن ما الله صانعُ

فعلى العاقل أن يكون بصيرًا بزمانه مقبلاً على شـــأنه حافظًـــا لسانه، ومن حسب كلامه من عمله قلّ كلامه، إلا فيما يعينه على الخير.. فكم أخرج الموت نفسًا من دارها.. وكم أجري العيون بعد قرارها..

عقوبة الظالم

أحسبتَ أنك يا ابن آدم تُهمل وتترك فلا تُعاقـب؟ وتظلـم وتتقلب في النعيم كيف شئت ولا تُحاسب؟ أنسيتَ قول النبي ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**»؟ ثم قرأ الرسول ﷺ: ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ [هود: ١٠٢] متفق عليه.

كلُّ هذا من جهالتك وانطماس بصيرتك، ولكن اعمـل مـا شئت فسيرى الله عملك ثم تُرد إليه ويجازيك بما تستحق.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال: «**إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطـرة بـين الجنـة والنـار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نُقوا وهُذِّبوا أُذِن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد ﷺ بيده لأحدكم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا**» أخرجه البخاري.

وقال ﷺ: «**أتدرون من المفلس؟**» قالوا: يا رسول الله، المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وحج، فيأتي وقد شـتم هـذا، وأخذ مال هذا، وضرب هذا، وسفك دم هذا، فيُعطَى هذا مـن حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي مـا عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النـار**» أخرجـه مسلم.

واعلموا أيها الأحبة أن الله إذا أراد بعبده الخير سلط عليه مـن

يظلمه، وكما قال شريح القاضي .. سيعلم الظالمون حتى من انتقصوا أن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر والثواب.

إذا ما الظلوم استوطأ الظلم مركبًا
ولجَّ عتوًا في قبيح اكتسابه
فكلُّه إلى صرف الزمان وعدله
سيبدو له ما لم يكن في حسابه

وقد روي أنه لا أكره للعبد يوم القيامة من أن يرى من يعرفه خشيةً أن يطالبه بمظلمةٍ ظلمه بها في الدنيا كما قال النبي ﷺ: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**» أخرجه مسلم والترمذي وأحمد.

يا من ظلمت نفسك أو غيرك ما هو حالك إذا قرع سمعك نداء الجبار جلَّ وعلا ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ [غافر: ١٧]؟

فعند ذلك ينخلع قلبك، وتضطرب أعضاؤك من الهيبة، وتوقن نفسك بالبوار، وتذكر ما أنذرك الله تعالى به على لسان رسله حيث قال: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

فيا لها من مصيبة!.. و ما أشدَّها من حسرةٍ في ذلك اليوم، إذا جاء الربُّ جل وعلا للفصل بين عباده بحُكمه العدل وشوفه الظالم بالخطاب وعلم أنه مفلس فقير عاجز مهين لا يقدر على أن يرد

حقًا أو يظهر عذرًا.

وعند ذلك تؤخذ حسناته التي تعب عليها في عمره، ليلاً ونهارًا وتنقل إلى الخصماء عوضًا عن حقوقهم.

فلينظر العاقل إلى المصيبة في مثل ذلك اليوم الذي ربما لا يسلم له فيه شيء من الحسنات فإن سلم له شيء من حســناته ابتــدره الغرماء وأخذوه فكيف تكون حال من رأى صحيفته خاليــة مـــن حسنات طالما تعب فيها، فإذا سأل عنها قيل له نقلت إلى صـــحيفة خصمائك الذين ظلمتهم، ويرى صحيفته مشـــحونة بســيئات لم يعملها، فإذا سأل عنها ومن أين جاءت إليه؟ قيل: هـــذه ســيئات القوم الذين طالما تمضمضت بهتك أعراضـــهم وتناولـــت أمـــوالهم وقذفتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وخنتهم في المبالغة والمجـــاورة والمعاملة ونحو ذلك من أنواع الظلم.

أمـــا والله إنَّ الظلـــم شـــؤم وما زال المسيء هو الظلـــومُ
إلى الديَّان يوم الـــدين نمضـــي وعنـــد الله تجتمـــع الخصـــومُ
ستعلم في الحساب إذا التقينـــا غدًا عند المليك مَن الظلـــومُ

ومن عظم الظُلَم عند الله عز وجل أنه حرم على المسلم ذكـــر عيوب الناس وذنوبهم، وأباح للمظلوم أن ينشر مظلمته حتى إذا نزل بالظالم عذاب الله عز وجل علم الناس أن ذلك من شؤم الظلم، قال عز وجل: ﴿لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِـــمَ﴾ [النساء: ١٤٨].

انصر أخاك ظالًما أو مظلومًا

ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**انصر أخاك ظالًما أو مظلومًا**» قالوا: يا رسول الله، ننصره مظلومًـــا، فكيـــف ننصره ظالًما؟ فقال: «**تأخذ فوق يديه**» أخرجه البخاري.

وعن جابر قال: اقتتل غلامان، غلامٌ من المهاجرين وغلام من الأنصار، فنادى المهاجر أو المهاجرون، يا للمهـــاجرين! ونـــادى الأنصاري: يا للأنصار! فخرج رسول الله ﷺ فقال: «مـــا هـــذا؟ دعوى أهل الجاهلية؟» قالوا: لا يا رسول الله، إلا أن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر، فقال: «**لا بأس، ولينصر الرجل أخاه ظالًما أو مظلومًا، إن كان ظالًما فلينهه فإنه له نصر، وأن كان مظلومًـــا فلينصره**» أخرجه البخاري.

فالمظلوم في حقّه أو ماله يُمنع عنه الظلم ويرفع عنه الحيف بكل ما يُستطاع من الوسائل. والقصد هنا أن تكون اليد مع يد المظلوم حتى يأخذ حقه، وأما نصر الظالم فمنعه عـــن الظلـــم، فـــإن أراد استلاب مال حلت بينه وبينه وأخذت بيده.

وأن أراد البطش ببريء ضربت على يده إن كانت يدك أقوى من يده وتراعي الحكمة لئلا ينقلب ظالًما لك، وأن كانت النصيحة رادعة سلكتها وإلا فتستعمل معه القوة حتى يرجع إلى الحـــقِّ وفي ذلك نصره.

نتائج الظلم

إن الإسلام جاء بالعدل وأمرنا الله تبارك وتعالى بـــأن نكـــون عادلين ونهانا عن الظلم لم يترتب عليه من نتائج شنيعة فإذا انتشـــر الظلم في أمة سلبت الأمن على الأرواح والأمـــوال والأعـــراض، وانتشرت فيها المفاسد وسوء الأخلاق، وفشـــت فيهـــا العـــداوة والبغضاء وأكل القوي الضعيف، وقلَّت فيها اليد العاملة، واتســـع نطاق الجهل؛ تذهب من الأمة الشجاعة والحمية، ويحلُّ محلها النفاق والملق، ويثمران النميمة ونقل الكلام والغضب والسرقة والاختلاس ونهب أموال الناس والربا والتطفيف في المكاييل والموازين والتعزيـــر بالعامل والغش والخيانة للوديع والأجـــير والمقـــارض والشـــريك والوكيل..

ومن نتائج الظلم أيضًا عدم استجابة الدعاء .. عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا تظلموا فتدعوا فلا يُستجاب لكم، وتستسقوا فلا تسقوا، وتستنصروا فـــلا تنصـــروا**» رواه البخاري .. فهذا كله من نتائج الظلم المريرة.

إذا ما الظلوم استحسن الظلم مـــذهبًا
ولج عتـــــوًا في قبـــــيح اكتســــــابه
فكلــــه إلى صـــرف الليـــالي فإنها
ستبدي لـــه مـــا لم يكـــن في حســـابه

علاج من وقع في الظلم والمبادرة بالتوبة:

إن الله عز وجل لا يظلم الناس شيئًا ولكن النـــاس أنفســـهم

يظلمون، فيحصي الله عز وجل على العباد أعمالهم ثم يوفيهم إياها بالجزاء عليها..

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَـــوْمَ الْقِيَامَـــةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فلقد علمنا مما سبق شناعة الظلم وقبح عاقبته ومـــا ورد مـــن الوعيد الشديد على مرتكبه وأن من مات قبل رد المظالم أحاط بـــه يوم القيامة خصماؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يمسك يده وهذا يتعلق بلُببه وهذا يتعلق برقبته.. هذا يقول ظلمـــني فغشني وهذا يقول ظلمني فبخسني وهذا يقول خدعني وهذا يقـــول قذفني وهذا يقول أكل مالي وهذا يقول شتمني وهذا يقول اغتـــابني وهذا يقول كذب علي وهذا يقول قطع رحمي.

أيها الظالم.. فبينما أنت على تلك الحال المخيفة الـــتي كثـــر المتعلقون بك من الغرماء الذين أنشبوا فيك مخالبهم وأنت مبـــهوت متحيِّر مضطرب الفكر والعقل من كثرهم ومطالبتهم وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم إذا قرع سمعك نداء الجبار: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧].

فالظلم من شيم النفوس الضعيفة، ولذلك جاء الإسلام بالرادع وهو التقوى والخوف من الله عز وجل والتوبة والمعرفة بـــأن كـــل إنسان مسئول بين يدي الله.. والتحلل من المظلـــومين لقولـــه ﷺ: **«من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فليحلله اليوم**

من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه» أخرجه البخاري.

فمتى تقبلون على الله بقلوب صادقة تائبة من هذا الظلم.

بادروا بالتوبة إلى ربكم قبل غلق الباب، واجتهـــدوا في بقيـــة أعماركم قبل وضع الكتاب وقبل أن تطلبوا برد الجواب.. وتحبس الألسن عن النطق والخطاب.. وتشهد الجوارح بما عملـــت مـــن عصيان أو ثواب..

همسة في أذن مظلوم:

أيها المظلوم.. أكتب لك هذه الكلمات الـــتي تـــدعوك إلى تفويض الأمر إلى الله والتوكُّل عليه و الثقة بوعده والرضا بصـــنيعه وحسن الظن به وانتظار الفرج منه، من أعظم ثمرات الإيمان وأجل صفات المؤمنين، وحينما يطمئنُّ العبد إلى حُسن العاقبة، ويعتمـــد على ربه في كل شأنه يجد الرعاية والولايـــة والكفايـــة والتأييـــد والنصرة..

فالإنسان وحده لا يستطيع أن يصارع الأحداث، ولا يقـــاوم الملمات، ولا ينازل الخطوب، لأنه خُلق ضعيفًا عاجزًا، إلا حينمـــا يتوكل على ربه ويتحلى بالصبر الذي هو من شيم الأفذاذ الـــذين يتلقون المكاره برحابة صدر وبقوة إرادة ومناعة أبيَّه.

فتوكل على الله واصبر لينقذك من الويلات، ويخرجـــك مـــن الكربات، واجعل شعارك ودثارك «**حسبنا الله و نعم الوكيل**» فإذا

رعبت من ظالم أو فزعت من خطب فاهتف: «حسبنا الله ونعـــم الوكيل ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾».

وأعلم أن:

إلى الديان يوم الحشر نمضي وعند الله تجتمـــع الخصـــوم

نماذج من عاقبة الظلم ونهاية الظالمين؟

إن القصص والحكايات جند من جنود الله يثبت بهـــا أوليـــاءه وشاهده قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ وهي عبرة لكل معتبر .

القصة الأولى:

كان في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود، رحمه الله، امرأة فقيرة من أهالي الدوادمي وعندها أيتام ولهـــا راتـــب هـــي وأولادها من الضمان في مدينة الرياض وذلك قبل توزيع مراكـــز الضمان في بلدان المملكة، فسافرت هذه المرأة إلى الريـــاض فلمـــا استلمت الراتب وهو مبلغ ثلاثة آلاف ريال قابلت صاحب سيارة أجرة فتعاقدت معه بأجرة معلومة بينهما اتفقـــا عليهـــا علـــى أن يوصلها إلى مدينة الدوادمي..

فساروا من الرياض وكانت امرأة كبيرة السن، من البادية مـــن الدوادمي فلما صاروا في أثناء الطريق خرج عن الخـــط وأوقـــف سيارته وقال لها أعطيني الدراهم التي معك فأبت وكرر عليها القول وهددها بالقتل فأعطته الدراهم خوفًا منه بعد ما أخبرته بحالها وأن هذا لأيتام وأحوالنا ضعيفة وفي حاجة، وهم الآن ينتظرون قدومي

عليهم، خِف الله بنا، كل هذا وكأنه لم يسمع ذلك وبعد ما أخـــذ الدراهم ذهب لقضاء حاجته فلما انتهى أخذ ترابًا يتجمر به فـــإذا بجحر عنده يخرج منه أفعى ويلتقم يده فإذا هو ميت في مكانه.

وفي أثناء ذلك جاء أهل سيارة ساقهم الله إلى هذه المرأة رأوها من بعيد، وجاءوا إليها فسألوها عن خبرها فقالت: هذي قصـــتي.. وأن هذا الرجل أخذ ما معي من النقود وهي ثلاثـــة آلاف ريـــال وذهب.. ولا أعلم ماذا حصل له فذهبوا إلى الرجل فإذا هو ميت، ورأوا أثر الأفعى خارج من الجحر إلى الرجل وعدوا الدراهم فـــإذا هي كما قالت، فأركبوها معهم معززة مكرمة حتى وصلوا مراكـــز الحكومة، ثم بعد ذلك أوصلوها بيتها سالمة ودراهمها في جيبها، فقد سخَّر الله لها هؤلاء الرجال الصالحين وأحسنوا إليها، أما هذا الذي أخذ حقها قهرًا وظلمًا فإن الله عاقبه عقابًا عاجلاً لظلمه هذه المرأة الضعيفة المسكينة.

القصة الثانية:

تقول: فتحت باب الغرفة ودخلت لأُفاجأ بزوجـــي جالسًـــا ينتظرني، وكل ما به يشتعل ثورة وغضبًا، أين كنت؟ بدهشة أجبته بالسوق كما سبق وأخبرتك، ولكنه صرخ بي ونظرات الغضـــب تتطاير من عينيه: (كاذبة.. كاذبة) نظرت إليه غير مصدقة وقلـــت (ما الذي يحدث؟) ولكنه لم يفسر لي شيئًا من تصـــرفاته الغريبـــة شدني من ذراعي بكل قسوة وصرخ بي (لقد عرفت حقيقتك) ولا أريد أن أرى وجهك هنا.

وبكيت، وقلت له مستحيل.. مؤكد هناك خطأ ما، ولكنه قال لي بكل حدة (لا.. لقد رأيت بعيني، و لم يعد هناك مجال للإنكـــار) وجاءني بصورة لرجل لم أراه من قبل وبضعة رسائل غريبة الشكل وردد بغضب (أليست هذه صورة عشـــيقك؟ وهـــذه الرســـائل الغرامية) لقد وجدتها بنفسي هنا، و لم يعد لك حتى مجال للإنكار، وبكلمات تحمل له كل أنين، قلت (صدقني لا أعرف شيء عنـــها، فلا تجعل الشك يهدم كل ما بيننا) ولكنه لم يرحمني، وذهب بي إلى بيت أهلي بنفس الليلة، وكانت آخر كلمة أسمعها منه هي (أنـــت طالق) حاولت أمي أن تعرف تفسيرًا واحدًا لما حصل ولكنني قلت لها (لا أعرف) وانزويت في غرفتي وأنا غارقة في حيرتي وذهـــولي، أتساءل عن تلك الصورة والرسائل.. ترى من الذي دســـها بـــين أشيائي، ومن الذي كان يخطط لهدم بيتي؟ ولماذا؟ وصرت أسترجع شريط أيامي الفائتة وأتحسر على كل لحظة مضت ولـــن تعـــود.. أتذكر كيف كدت أطير فرحًا، حين تقدم هو لخطبتي أنا فقد كان بالنسبة لي الرجل الحلم كنت أرى شقيقته في الجامعة و لم أتخيل أنني سأصبح في يوم من الأيام زوجة لشقيقها، فقد كانت تبهرنا بثيابها وساعتها الثمينة وسيارتها الفاخرة.. وحين اتصلت أمـــه تطلـــبني للزواج من ابنها وافقت للزواج منه وتم الزفاف.. وحين انتقلـــت لأعيش معه في بيته أهله، شعرت للوهلة الأولى أنني إنســـانة غـــير مرغوب فيها، من نظراتهم العدائية ومن كلماتهم المرة..

ومضت أيام ثقيلة وقاسية، حاولت بعـــدها أن أدوس علـــى جرحي وأمضي.. انشغلت بدراستي بإحدى دور التحفيظ لحفـــظ

القرآن الكريم، حتى جاءني طليقي بعد عامين يبدي لي أسفه وندمه على ظلمه لي فقد كانت لعبة قامت بها شقيقاته للـــتخلص مـــني، وكان هو جاهلاً هذا الأمر، حتى تشاجرت الشقيقات، وانكشف كل شيء.

قال لي: لنفتح صفحة جديدة، ولنعد لنستأنف حياتنا معًا وأنه يحبني ولا يستطيع أن يحيا لحظة واحدة بعيدًا عني، ولكن كان ذلك من المستحيلات، فمهما كانت المشاعر التي أحملها له، فلا يمكن أن أنسى لحظة واحدة الطريقة المهينة التي طردني بها من حياته.

وأخيرًا:

ألا ربَّ ذي ظلم كمنت لحربـــه فأوقعـــه المقـــدور أي وقـــوع
وما كان لي إلا ســـلاح تركـــع وأدعيـــة لا تُتقـــى بـــدروع
وهيهات أن ينجو الظلوم وخلفه سهام دعاء من قســـي ركـــوع

اللهم أيقظ قلوبنا ونورها بنور الإيمان وثبت فيها محبتك ومحبة أوليائك وعبادك الصالحين.. اللهم إنا نسألك بأسمائـــك الحســـنى وصفاتك العلى أن تطهر قلوبنا من الظلم وتبعدنا عـــن الظـــالمين، سبحان رب العزة عما يصفون وسلام على المرســـلين والحمـــد لله رب العالمين.

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- صحيح البخاري وصحيح مسلم.

٣- الكبائر، الحافظ شمس الدين الذهبي.

٤- موارد الظمآن لدروس الزمان، عبد العزيز السلمان.

٥- الخطب المنبرية في الوعظ والإرشاد للبرية، إبراهيم بن عبد الله آل يوسف.

٦- تحفة الواعظ في الخطب والمواعظ لأحمد فريد.

٧- رياض الصالحين، الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي.

٨- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين الحنبلي البغدادي.

٩- الضياء اللامع من الخطب الجوامع، محمد بن صالح بن عثيمين.

١٠- الظلم.. أنواعه، أسبابه، آثاره، أسعد محمد الطيب.

١١- صحيح الجامع الصغير وزيادته، ناصر الدين الألباني.

١٢- الجمع بين الصحيحين الصاغاني.

١٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل.

فهرس الموضوعات

